منكم سببا لاتباعكم للعمل الذي لكنه يمهل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عادة الكرم
روي عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف
او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد
ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون
اي فرعون وقومه بالسنين اي بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة فان السنة
تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ونقص من الثمرات اي بالعاهات قال
قتادة اما السنين فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار وعن
كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون اي يتنبهون
يتوبون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لان الشدة ترقق
القلوب وترغب فيما عند الله تعالى من الخيرات والدليل على ذلك قوله تعالى
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله تعالى واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض وقال سعيد بن جبير عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير
مكروها في نفسه ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع
او حمى لما ادعى الربوبية فبين سبحانه وتعالى انهم عند نزول تلك
المحن عليهم يقيمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال تعالى فاذا
جاءتهم الحسنة قال ابن عباس الحسنة الخصب والثمار والمواشي والسعة
في الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون على
العادة التي جرت من كثرة نعمنا وسعة ارزاقنا ولم يعلموا انه من
الله تعالى فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة اي قحط وجدب او
بلاء وقيل ما يكرهون في انفسهم يطيروا اي يتشاءموا واصله يتطيروا
بموسى ومن معه من المؤمنين ويقولون انما اصابنا هذا الشؤم بهم وهذا
اغراق فيه وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب

وتذلل

وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم
بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في البغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة
التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى
بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند
الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته اي سبب شؤمهم عند
الله تعالى وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم ولكن
اكثرهم لا يعلمون اي انما يصيبهم من الله تعالى وذلك لان اكثر الخلق يضيفون
الحوادث الى الاسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره
والحق ان الكل من الله لان كل موجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته
والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا
بايجاد الواجب لذاته وعلى هذا الطريق يكون الكل من الله تعالى فاسناده
الى غير الله تعالى يكون جهلا بكمال الله تعالى وقالوا اي فرعون وقومه القبط
لموسى عليه السلام مهما تأتنا به وقوله من آية اي من عند ربك وبيان لمهما
وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها
اي لتصرفنا عما نحن عليه من الدين فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين
فيه واختلف في اصل مهما فقيل اصلها ما ما الاولى ما الشرطية والثانية
ما الزائدة ضمت اليها للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير
للمتجانسين فصارت مهما هذا هو قول الخليل والبصريين وقيل اصلها مه
التي بمعنى اكفف وما الجزائية كأنهم قالوا اكفف ما تأتنا به من آية لتسحرنا
بها فهو كذا وكذا هذا قول الكسائي فهي مركبة على هذين القولين والمعتمد
الذي جرى عليه ابن هشام وغيره انها بسيطة لان دعوى التركيب لم يقم
عليها دليل ووزنها فعلى والفها للالحاق او للتأنيث والضميران في
به وبها راجعان لمهما الا ان احدهما ذكر باعتبار اللفظ والثاني انث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)